قراءة

بانفتاح بغداد القديمة على ثقافات العالم، تطوّر الطبخ كفنٍ وأدب وعلم، وأغرى العديد من الإطباء والكتّاب للتحدُّث عنه في مؤلّفاتهم التي تعكس غنى الأطباق وتحدّدها، وتكريس آداب للأكل، إضافة إلى الحديث عن الفوائد الصحية وأثرها على مزاج الإنسان

محمود منير

فن الطهي الطعام والموسيقى في مدينة كوزموبوليتية

حول مائدة عباسية

بحلول القرن الثامن الميلادي، احتضنت بغداد عشرات الأعراق والثقافات في لحظة تاريخية كانت معظم حواضر العالم، وفي مقدّمتها أوروبا، منكفئة على نفسها لا تعرف من «الغرباء» سوى التجّار والرقيق. كما شهدت عاصمة العباسيين أكبر ثورة زراعية تمثّلت في استقدام مختلف أنواع المحاصيل والبذور والحيوانات والأسماك من الشرق والغرب.

أسّست تلك النقلة النوعية في الزراعة لأكبر خزانة طعام وأكثرها تنوّعاً، ولا تزال آثارها ماثلة في شرق المتوسط حتى اليوم، وتمتزج وصفات الطهي التي وضعها أهل بغداد مع أخرى اختُرعت في قصور الخلفاء والأعيان وعلى يد ذوّاقة الأكل الذين بدأوا يقرضون الشعر كلّما حضروا من صنف واحد عشرات الأطباق، واكتشفوا طعماً جديداً وهم يخلطون الحامض بالحلو، أو عثروا على فائدة لعشبة أو مستخلص جديد.

يَعتبر العديد من الباحثين أنّ أبا إسحق إبراهيم بن المهدي، شقيق هارون الرشيد، أوّل من ألّف ضمن هذا الحقل، فضمّ في كتاباته الحكايات والقصائد التي تحتفي بالأطعمة والحلويات والشراب، وهو ليس غريباً على واحد من أعلم أناس عصره في النغم والإيقاع، وهو الذي يقيم الموائد للطرب والاستمتاع بكلّ ما لذّ وطاب.

تُبرز هذه المؤلّفات شغف أصحابها بمجالس الطعام، وترفاً عاشته بعض الطبقات الاجتماعية، حيث عكست تقاليدها المتمثّلة في طرق تناوُل الأكل وآدابه ومستوياته، ومسائل ذات صلة بالدعوة إلى الموائد وعلاقة الضيوف بالمضيفين، وغيرها من التفاصيل التي ينبغي على العوام تعلّمها للصعود إلى مراتب الخاصّة.

مع التوسّع الهائل في الطبخ بسبب تدوينه باعتباره فناً وعلماً وأدباً، بات الاحتراف والدقّة والإتقان سمات أساسية تصنّف الطهاة في العصر العباسي؛ حيث حظوا في تلك الكتب بأوصاف تدلّ على شخصياتهم ومعرفتهم باطعمة مختلف الشعوب والحضارات، ما يؤهّلهم للالتحاق ببلاط الخليفة وولاته وقاداته، وهؤلاء كانوا ينظّمون أيضاً مسابقات يتنافس فيها صفوة الطبّاخين.

يكتب محمد بن حسن البغدادي (توفي عام 1239م)، في مؤلّفه «كتاب الطبيخ»، أنّه «ينبغي على الطباخ أن يكون حاذقاً عارفاً بقوانين الطبخ، بصيراً بصنعته، وليختبر القدور البرم ثم من بعده الفخار، وعند الضرورة النحاس المبيض».

ترافق الاعتناء بالمائدة وتعدّد صنوفها وسبل الراحة والنظافة مع اهتمام كبير بسلامة البدن وقوامه ولياقته، ما جعل معظم المصادر التاريخية في الطبيخ منذ القرن العاشر الميلادي تركّز على الجوانب الصحية وتُفرد مساحات لفوائد هذا الطعام أو ذاك ووسائل حفظه بالتمليح والتدخين والتجفيف وغيرها، وتحديداً في ما يخصّ التنحيف وشدّ الجلد وتجميل البشرة واسترخاء الأعصاب وتنشيط الجسم أو التجميل لدى النساء.

ومن أبرز مؤلّفي تلك المصادر مجموعة من الأطباء؛ مثل يوحنا بن ماسويه، الذي لم يكن الرشيد والمأمون والمتوكل يتناولون أطعمتهم من غير مشورته، وتحضر في كتابه «الطبيخ» قواعد ومعارف استقاها من الإغريق والبيزنطيين، وكذلك أبو بكر الرازي، الذي اهتمّ باستعمالات الأغذية المتنوّعة لعلاج الأمراض، وابن مندويه بتنظيراته حول الأطعمة المناسبة للجسم بحسب اختلاف حالاته وظروف المناخ التي يحياها.

تشترك مؤلّفات الطبخ في بحثها في موضوعين أساسيين، الأول يستعرض كلّ ما يتعلّق بصحة الجسم والعلل التي تصيبه لأسباب عضوية وطرق مداواة البرد أو المغص أو الإسهال أو الإمساك أو ارتفاع الحرارة أو الام الأمعاء والقولون وطرْح آراء الأقدمين وما يؤكدها أو ينفيها من أقوال المحدثين، والثاني يسهب في شرح الأطعمة المصنوعات مما استخرج من كتب الطب والفاظ الطهاة وأهل اللبّ»، لابن سيار الوراق، الذي سكن بغداد خلال القرن العاشر وقبل إنه كُلّف بتأليفه من قبل أحد الأثرياء، فوضعه في موسوعة ضخمة من مئة وثلاثين فصلاً أشتملت ستمئة وصفة طعام وفوائدها الصحية والحكايات المتواترة حول ولائم الأعيان والوجهاء.

وكان التنافس على أشدّه بين علماء وكتّاب المشرق وبين نظرائهم في المغرب، الذين نُظر إليهم في معظم الكتب التاريخية بوصفهم مقلّدين ومحاكين قبل أن تظهر دراسات حديثة تثبت خلاف ذلك في حقول معرفية وإبداعية عدّة، ومنها الطبخ الذي يتوافق حوله كثير من المؤرّخين الذين يشيرون إلى زرياب، الذي نقل الموسيقى والمطبخ أيضاً من بغداد إلى قرطبة، وعلّم الناس كيف يبدأون طعامهم بالشوربة ثم الطبق الرئيسي ثم الحلويات، وأصول الشراب وأنواع الكؤوس واستخداماتها.

قد لا يصمد افتراض كهذا كثيراً مع الكشف عن عناوين متخصّصة في الطبخ لدى الأندلسيين والمغاربة خلال الفترة ذاتها التي وُضعت فيها مخطوطات المشرقيين، وتعكس تنوّعاً أكبر نتيجة الاحتكاك مع شعوب مثل الصقالبة والقوط، واهتماماً أكثر باللذة والجودة، وتفضّل بالطبع طعام الخاصة وأكل العامة على اختلاف مناطقهم، بحيث تلفت إلى ندرة الخبز في منطقة، وكثرة اطباق السمك في ثانية، واعتماد أخرى على البقوليات بشكل رئيس.

تناول مؤلّفو هذه الكتب جانباً من حياة الرفاهية عاشتها بعض الطبقات الاجتماعية في التاريخ الإسلامي باستخدامها مستحضرات طبية لتطييب رائحة الفم وتعطير الملابس عند غسلها أو تخزينها، مخصّصين لها مساحة كبيرة في مدوّناتهم، ومنها كتاب «الوصلة إلى الحبيب في وصف الطيّبات والطيب»، الذي يُنسب إلى مؤلّف مجهول في القرن الثالث عشر.

> مع الموسيقى، نقل زرياب فنون المطبخ من بغداد إلى قرطبة
>
> ترافق الاعتناء بالمائدة مع اهتمام بسلامة البدن وقوامه

ما يخالف أمزجة الأبدان ويعكّر صفوها ويؤدّي إلى سوء أوضاعها النفسية.

فقدنا العديد من هذه الأدبيات لكن ورد ذكرها في مؤلّفات لاحقة مع إيجاز لمحتوياتها وتأكيد على مكانتها العلمية، وأقدم ما وصل إلينا كان «كتاب الطبيخ وإصلاح الأغذية والمأكولات وطيبات

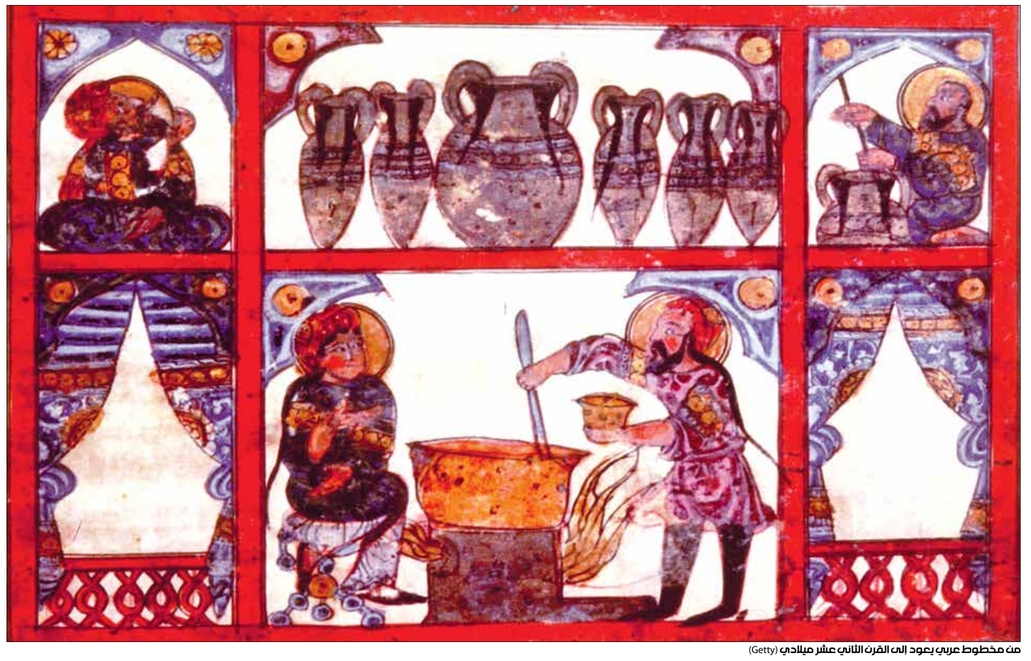

من مخطوط عربي يعود إلى القرن الثاني عشر ميلادي (Getty)

أبعد من وصف الولائم

يمثّل كتاب «الوصلة إلى الحبيب في وصف الطيّبات والطيب» نموذجاً من المؤلفات حول الطبخ في العصر العباسي المتأخر، وهو عمل يكاد يشبه حوصلة لما كُتب قبله، وكثيراً ما يُنسب خطأ إلى ابن العديم، بينما كتبه مؤلّف مجهول في القرن الثالث عشر. لعلّ أهم ما في هذا الكتاب انه يقدّم إضاءة على الحياة الاجتماعية لعصره، فيجعل من الحرص على ثقافة الولائم مدخلاً لفهم حياة الرفاهية التي عاشتها بعض الفئات الاجتماعية.

إضاءة

الأدب العربي واليوناني تقاطعات وجسور

شعراء على ضفّة المتوسط

بعنوان «المتوسّط وتاريخه كما ينعكس في صوتين شعريين: اليونانية والعربية»، يشارك أربعة شعراء في قراءة افتراضية غداً ضمن «معرض سالونيك الدولي للكتاب»

أليا ـ العربي الجديد

في أيلول/سبتمبر الماضي، أعلن «مركز الثقافة والأدب العربي واليوناني» إطلاق أنشطته كمبادرة مستقلّة جديدة تسعى إلى بناء جسر مفتوح بين الثقافتين «من أجل فهم أفضل لما يوحّدنا، بدلاً مما يفرّقنا»، وفقاً لبيان المركز، وبغية التعريف وزيادة الوعي بالأدب اليوناني والعربي والثقافة والشعر واللغة، إضافةً إلى إجراء البحوث والدراسات والحوارات، للمضي في هذه «الرحلة الجديدة لاستكشاف الثقافة العربية وعلاقاتها بالثقافة اليونانية».

تقف وراء المبادرة المترجمة والكاتبة اليونانية المولودة في مصر بيرسا كوموتسي التي عُرفت بترجماتها لنجيب محفوظ التي وصلت إلى ثمانية عشر عملاً، إضافة إلى ترجماتها الأخرى العديدة من الأدب العربي المعاصر.

وفي هذا الإطار، تُنظّم المركز أولى أمسياته الشعرية عند الواحدة من بعد ظهر غدٍ الجمعة بعنوان «المتوسّط وتاريخه كما ينعكس في صوتين شعريين: اليونانية والعربية»، يشارك فيها الشعراء نوري الجراح من سورية، وعلاء خالد من مصر، وكيرياكوس شارالاميديس من قبرص، وسولا كاراجورجيو من اليونان، وتندرج الأمسية ضمن برنامج «معرض سالونيك الدولي للكتاب» في دورته السابعة عشرة، حيث تترجم القصائد بيرسا كوموتسي والمترجم المصري خالد رؤوف.

وكان الشاعر السوري نوري الجرّاح (1956) قد أصدر العام الماضي كتاباً تحت عنوان «لا حرب في طروادة: كلمات هوميروس الأخيرة»، وهو نص شعري يتداخل فيه صوت الشاعر بصوت المكان السوري، ويستدعي صاحب «كاس سوداء» تجربة الإغريقي «هوميروس» ونصه التراجيدي الطويل عن الحرب. الجرّاح الذي أصدر مجموعته الأولى عام 1982 بعنوان «الصبي»، وقدّم بعدها تسع مجموعات أخرى نشرها في المدن التي عاش وتنقّل بينها من بيروت إلى قبرص ولندن، هو أحد أهم الأصوات الشعرية العربية التي ظهرت في الثمانينيات، ولم يتوقف تطوّر تجربته التي تتفرّد اليوم في الشعر العربي المعاصر.

أما الشاعر المصري علاء خالد (1960)، فموضوعه الأثير هو الأمكنة ووقع الإنسان فيها وعليها، وطرح في كتاباته الشعرية وغير الشعرية من مقال وسرد، مسألة التناقض بين الأمن والغربة في المكان، وبين النص والصورة. أصدر عام 1990 مجموعته الأولى «عالق بمشبكة حبر»، وهي قصيدة نثر طويلة، استكشف فيها أرض الطفولة وذاكرتها. ومن كتبه النثرية «خطوط الضعف»، وهو عمل سردي أنثروبولوجي، المكانُ فيه هو واحة «سيوة»، صدرت لخالد أيضاً رواية «ألم خفيف كريشة طائر تنتقل بهدوء من مكان لآخر»، و«أشباح بيت هاينريش بل»، كما تُميّز تجربته مجلّة «أمكنة» التي اعتنى فيها بالمكان وذاكرته وتفاصيله ومُخيلته.

يبني الشاعر كيرياكوس شارالاميديس (1940)، أحد أبرز الشعراء القبارصة، تجربته على التراث الشعري اليوناني الحديث والتقاليد التي أسسها شعراء يونانيون معاصرون؛ مثل قسطنطين كفافي، وجورجوس سيفريس، وأوديسياس إيليتيس، من دون أن يعني ذلك أن خصوصيته القبرصية لا تظهر في قاموسه اللغوي في قصائده نجد الذاكرة والأساطير والتاريخ القديم والإنجيل، وكذلك نجد جزيرته بأغانيها الشعبية، وهو على الرغم من العودة إلى الأساطير والتاريخ والمقابر والأغاني الشعبية، يحاول إعادة كتابة التاريخ والحقائق والأسطورة، فهذه طريقته في تقريب العالم القديم من اليوم، والنظر إلى ما وراء البطولة، والمعجزة، والخوارق.

أما الشاعرة اليونانية تسولا كاراجورجيو (وُلدت في الإسكندرية عام 1954) فقد أصدرت ستّة كتب شعرية: «شظية رقم 53» كانت مجموعتها الأولى التي أصدرتها عام 1986، وأتبعتها بـ «الشتات»، و«التكنولوجيا الشعرية»، و«إلى المترو» التي حازت عنها «جائزة أكاديمية أثينا». تحمل كاراجورجيو الدكتوراه في فقه اللغة عن أطروحتها «الترجمات اليونانية الحديثة لأريستوفانيس»، ومنذ 2007، تقوم بتدريس الشعر اليوناني الحديث في «مؤسّسة تاكيس سينوبولوس».

> طموح بإطلاق حوار شعري بين اليونان والثقافة العربية

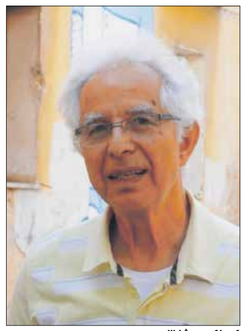

كيرياكوس شارالاميديس

بيرسا كوموتسي

نوري الجرّاح

متابعة

مؤتمر اتحاد الناشرين العرب نقاشات في حصاد سنة بيضاء

التفكير بمناسبة الأزمة؟

يُنتظر أن يُقام في أوّل يومَين من الشهر المقبل المؤتمر السنوي الخامس لـ«اتحاد الناشرين العرب»، وهي مناسبة كي نتساءل عن دور هذا الهيكل في مثل هذه الظروف.

منصور الجميل

كان قطاع النشر أحد المتضرّرين من جائحة كورونا، عالمياً، حيث يمكن اعتبار 2020 من أكثر السنوات كساداً، خصوصاً إذا نظرنا إلى الأمور من زاوية تنظيم معارض الكتب التي توقّفت، باستثناء بعض المعارض الكبرى مثل فرانكفورت ومونتريال، والتي «نجحت» في الاحتفاظ بدورة هذا العام حيث وجدت مخرجاً في الفضاء الافتراضي، وهو فضاء غير نشيط عربياً، خصوصاً على المستوى التسويقي. أمّا بقية المعارض التي نُظّمت بالطرق التقليدية (ومنها الشارقة أخيراً)، فقد مُنيت بإخفاقات تتعلّق أساساً بقلّة الحضور الجماهيري بسبب التخوّفات من الموجة الثانية.

ضمن هذ الوضع، سيُقام في اليومين الأوّلين من الشهر المقبل المؤتمر السنوي الخامس لـ«اتحاد الناشرين العرب»، وهي مناسبة كي نتساءل عن دور هذا الهيكل في إيجاد حلول لقطاع صناعة الكتاب العربي في مثل هذه الظروف.

يُقام المؤتمر بأدوات التكنولوجيا الافتراضية تحت عنوان «صناعة المحتوى والتحديات». وبحسب الورقة التقديمية، فإنه سيطرح «العقبات التي باتت تواجه صناعة النشر، وماهية المحتوى البنّاء الذي يحرص عليه جميع الناشرين. كذلك سيعالج المؤتمرون العديد من المواضيع ذات الصلة بقطاع النشر عموماً، ومنها تداعيات جائحة كورونا على عملية الطباعة والنشر والتوزيع، وصعوبة الوصول إلى القارئ مباشرةً بسبب توقّف معارض الكتاب في معظم الدول العربية».

من الواضح أنّ المؤتمر يقيم برنامجه على محاولة مقاومة الأزمة، وإن حصل ذلك ضمن مقولات عامّة، بحيث يشبه خطاب ما قبل الوباء خطاب ما قبله. ولكن، الا يبدو تدارُس الحلول اليوم متأخراً بعض الشيء؟ فقد كانت 2020 سنة بيضاء على عدد غير قليل من الناشرين، ويعود ذلك إلى أنّ معارض الكتب تمثّل الفضاء الأساسي للتسويق. وفي ما عدا عدد قليل من الناشرين القادرين على حضور مختلف المعارض العربية، فإنّ معظم صُنّاع الكتاب العرب لا يستطيعون سوى حضور معرض واحد في بلدهم الأصلي، فهل سبق أن فكّر «اتحاد الناشرين العرب» في هؤلاء، وهل سيفكّر فيهم بمناسبة أزمة كورونا؟

إذا كانت بعض المعارض العالمية قد نجحت في تنظيم دورة 2020 من خلال الفضاء الافتراضي، فإنّ ذلك لا يتعلّق فقط بالتفوّق التكنولوجي، بل أيضاً بتعوّد مهنيّي الكتاب في هذه البلدان، وحتى الجمهور، الفضاءَ الافتراضي لإنجاز ما كان يقدّم من عقد لقاءات عمل بين الناشرين والكتّاب والوكلاء الأدبيين، وتوفير فضاءات للتفاوض حول حقوق التأليف والترجمة. كل هذه المحتويات غائبة في السياق العربي، وبالتالي إن تطوير منظومة الافتراضي لا يعني بالضرورة إنجاح الفعاليات المتعلّقة بالكتاب.

ربما علينا اليوم أن نفهم علاقة الناشرين باتحادهم، وقبل فهم علاقتهم بالاتحاد الإقليمي علينا أن نرى علاقتهم بالاتحادات المحلية، وسنرى حالة من التفكّك لا تعالجها خطط بعيدة أو قريبة المدى. فأي اتحاد ناشرين عربي له القدرة على الدفاع بجدية عن مصالح أعضائه؟ السؤال يفرض نفسه زمن كورونا، وقبل ذلك وبعده.

> لا يكفي اعتماد الوسائل الافتراضية وحدها لإنجاح فعاليات الكتب

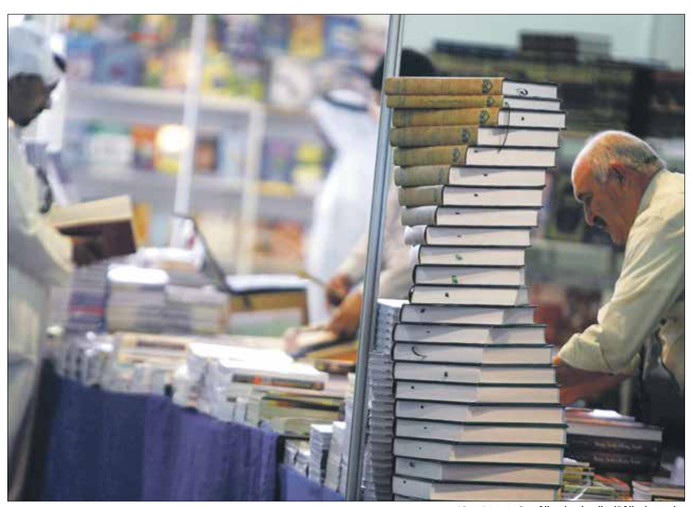

من معرض الكتاب الدولي في الكويت، 2010 (Getty)

فعاليات

ينظّم **غاليري ضي** في القاهرة مهرجاناً ثقافياً تحت عنوان **ما بعد الكورونا**، ينطلق عند الخامسة من مساء بعد غدٍ، السبت، ويتواصل حتى 17 من كانون الاول/ ديسمبر المقبل، ويتضمن إلى جانب معرض تشكيلي ونحتي، قراءات في الشعر والقصة القصيرة، من اعمال أُنتجت في فترة الحجر المنزلي السابقة.

بين 25 من الشهر الجاري وحتى الاول من الشهر المقبل، تُقام عروض **منصّة بيروت الدولية للرقص المعاصر**، التي تُقام كل عام تحت اسم **مهرجان بيروت الدولي للرقص**، بتنظيم الراقص اللبناني عمر راجح. لأوّل مرّة، لن يتم تنظيم التظاهرة في بيروت، بل في مدينة ليون الفرنسية، حيث سيتم بثّ المهرجان مباشرة من ست مدن؛ هي: جنيف، وطهران، ومدريد، و تولوز، وبرلين، وبيروت.

بعنوان **حياة مثالية في المستقبل**، يُقدّم الفنان اللبناني **نديم شوفي** محاضرةً في **دارة الفنون** بعمّان، عند السادسة من مساء بعد غدٍ، السبت. تجمع المحاضرة موضوعات تشمل خططاً حكومية عمرها 100 عام، ونماذج اولية لمستعمرات في الفضاء وأشكال الحياة في مستقبل مليء بأزمات بيئية وصحية.

تُقيم **جامعة آيوا الاميركية** محاضرة افتراضية، عند الحادية عشرة من صباح الاثنين المقبل، تتحدّث فيها الكاتبة **روندا روبنسون توماس**، استاذة الادب في جامعة كليمسون، عن كتابها **نادي على اسمي** الصادر عن «منشورات آيوا» هذا الشهر، والذي تناولت فيه تجربتها كباحثة واكاديمية سوداء في «جامعة بيضاء».